تأمـــلات

فى ذهنى صورة منك تنسخ كل صورك : صورة استسلام يحمل كل معانى المنعة ، ويعصمك من عينى ومن يدى ومن حسى ، وكان خليقاً أن يغريني بك ، فلم يغرنى ... ملأنى إكباراً لك وتدللاً بك ، لأن فيك شيئاً مقدساً يحميك دائماً من الأعين والأيدى ، وحول رأسك هالة من الطهر تحوطه مرفوعاً ومطرقاً فاختلاس النظر إليك نوع من العبادة لا يخفره إليك الشيطان ، وأنت فى صمتك بليغة ، تتحدثين بألف صوت كالسيمفونى ...

جوارحى دائماً مشغوفة بك ، مشوقة إليك ، يطربها حديثك ويناجيها صمتك ، وتستلهم الوحى من إطراقك ...

تُرَى يا فتاتى ، بمن كان شغلك ، وفيم كنت تطرقين ؟ ... لا يغرنَّى الغرور ، فأحسب اتجاهك كان إلىَّ ، وأنت إلى غير الغرض تتجهين ... بل أنت فى أكبر الظن تتساءلين : ماذا تحسين ؟ أخداع هو أم يقين ؟ ... وتقولين فى نفسك : أيجوز أم لا يجوز أن أجيب نداء ليس بعد من القلب ، ولا هو من وراء القلب ... ولكنه يوشك أن يصدر عن الصميم ؟ ؟

تقولين فى أكبر الظن: إنى فتاة عديمة التجربة ، وها أنا ذى أتعرض للتجربة ، أأقدم أم أحجم ؟ وإذا أقدمت ماذا يكون ؟ إننى لا أملك الإقدام ، لأنه شر ، ولا أملك مع هذا الإحجام ... إننى أتردد وسأبقى مترددة إلى يوم الدين ، ومن كان مثلى فسلامته فى الاعتصام لا فى الإقدام ... وقد اعتصمت بحبل الله ، وحفظت جميله ، ومنحته ودى ، وجازيته على حبه حباً عذرياً طاهراً ... أحس النبطة فيه ، ويثير مع ذلك فى نفسى الأشجان

إذن فليكن ما تشاءين، ولن نقف فى حبنا يا فتاتى على قدم المساواة ؛ فأنت عندى أسمى من أن أقف وإياك فى مستوى واحد، وأكرم من أن أحشر وإياك فى صعيد واحد ... وإنى بذلت لك من نفسى أكثر مما بذلتِ لى من نفسك... لكن العبرة بقيمة ما أبذل وما تبذلين ؛ وقد بذلتُ لك عاطفة جياشة لم أحبسها ، وبذلتِ لى عاطفة مكبوتة جامدة فى كنهها ، فجاءت عاطفتى الجياشة أرخص من العاطفة التى ما زلتِ تكبتين ... وتجاوزت إليك الحدود ، ووقفتِ أنتِ دائماً منى عند حد ... فأنا أسخو بما لا يكلفنى جهداً ، وأنت تبذلين جهداً جباراً فيما تكبتين وتكبحين

لا أدرك مبلغ ألمك لأنك صبوحة دائماً ، لكنى أحس الصراع فى نفسك بين واجبك نحوى وواجبك نحو الله وقد تبدو المقابلة بين الموقفين نابية . لكن الواقع لا ندحة عن ذكره والإشارة إليه ، والواقع أنى أجاهد فى ربط مصيرك بمصيرى بهذه الصلة الروحية ، ويريد الله أن يكون لكل منا مصير ؛ وأنت بما أودعك الله من وداعة تصرفين السوء عن نفسك ، وكل شىء يرعاك حتى تلك العين التى ترنو إليك ، واليد التى تتلمس يدك ، والحس الذى يهفو إليك بكآبته ليغمرك أو تغمريه

كونى يا فتاتى ما تشائين فلن تكون مشيئتى غير مشيئتك ، وليكن ما يجيش به صدرى وقفاً على هذا الحيز الضيق حتى يضيق به فيكون من أمر الله ما يكون

سأبقى أميناً كما كنت شهيداً كما تكونين ، ولن أنساك فى قيامى وقعودى وركوعى وسجودى ولو ذهبت صلاتى غير مأجورة ولا مثابة ، فحسبى أنها خالصة لوجه الله

أنت يا فتاتى شهيدة كأقدس ما يكون الشهداء ، قديسة كأكرم ما يكون القديسون . ليست عندنا أديرة ولكنك تلجأين فى نفسك الممتنعة إلى دير حصين ، وقد تبقين هكذا طوال حياتك وأتقلب أنا مع الأيام ، فتبقين لى مثلاً أعلى ، وأبيت أنا بشراً ككل الأنام

(م . د)

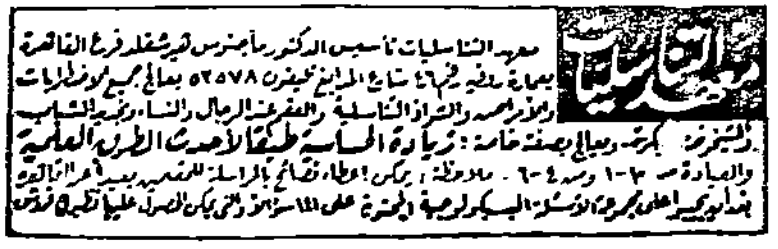

(سجل تجارى ٥٢٢٧)